﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢﴾ [طه: 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

جوابُ الصَّابرين ثقة ويقين

لمَّا ذكرت الآيات السَّابقة تهديد فرعون للسّحرة الخارجين عن حكمه وطاعته؛ لأنهم آمنوا مع موسى وألقوا بأنفسهم سجّدًا، ناسب أن يذكر هُنا جوابهم عن ذلك بما يدلّ على حصول اليقين التَّام، والبصيرة الكاملة لهم في أصول الإيمان والدّين[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُّؤۡثِرَكَ﴾: جَذْر الكلمة هو (أثر) لهُ ثَلاثَة أُصولٍ: تَقديمُ الشَّيءِ، وذِكرُ الشَّيْءِ، ورَسمُ الشَّيءِ الباقي؛ والأثرُ: ما بقي من رسم الشّيء، وسُنن النّبي ﷺ: آثاره، ويُقال لضربة السّيف: أثره، وآثرتُ الرَّجلَ: قدَّمتَه، وأثَرْتُ الحديثَ؛ أيْ: ذكرتَه عن غيرك[2]، ومعنى قوله: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾؛ أيْ: لن نُفضِّلكَ ونختارَ ما جئتَ به.

2) ﴿فَطَرَنَاۖ﴾: جَذْر الكلمة هو (فطر)؛ وأصل الفَطْرِ: الشّقُّ طولًا[3]، والفِطْرة: الخِلْقة، وفَطَرَ اللّه الخَلْقَ، خَلَقَهم، وابتدأَ صَنْعة الأشياء[4]، وأوجد الشَّيء وأبدعه على هيئة مُترشِّحة لفعل من الأفعال، وقوله: ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾؛ أي: أبدعنا وأوجدنا[5].

3) ﴿فَٱقۡضِ﴾: جذر الكلمة هو (قضى)؛ والقضاء: الحُكْم، والقَضاء: المَنيَّة؛ لأنَّها تقضي على الميت، والقَضاءُ: فصل الأمر قولًا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 77.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأصفهَانيّ، المفردات: (أثر).
(3) ابن سيدَهْ، المُحكم: (فطر).
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مجمل اللغة: (فطر).
(5) الأصفهَانيّ، المفردات: (فطر).

كان ذلك أو فعلًا[1]، وسائر ما في القرآن من التركيب فهو بمعنى إتمام الأمر وإنهائه[2]، والمُراد في الآية: فاحكُم ما تراه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بعد أن استقرّ الإيمان في قلوب السحرة، قابلوا تهديد فرعون لهم بالاستخفاف وعدم الاكتراث، فقال السّحرة في رَدِّهم على تهديد فرعون لهم: لن نختارك ونُفضِّلك على ما ظهر لنا من المعجزات التي جاءنا بها موسى، ولن نختارك ونُفضّلك على الذي خلقنا وأوجدنا في هذه الحياة، وقوله: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ تصريح منهم بأنّ تهديده لهم لا وزن له عندهم، وردٌّ منهم على ما توعَّدهم بأشد العذاب.

الاتّـزان النّفسي للفئة المؤمنة تجاه اضطراب فرعون وطغيانه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصل الآية عن السَّابقة:

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ على طريقة المحاورات، فبعد وعيد فرعون: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ ... ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾ جاء قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ بمنزلة الجواب على سؤال افتراضيّ يُفهم من الجملة السَّابقة، وهو: (فماذا سيقول ويفعل هؤلاء السّحرة أمام تهديدات فرعون لهم وتوعّده بعذابهم)، فاقتضى ذلك الفصل بين الجملتيْن كما يُفصل الجواب عن السؤال، واستأنف بقوله: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾.

إذا أشرق القلب بـنـورِ الإيـمـان تلاشت الظُّلمةُ بنورِ الرَّحمن

تناسق صيغ الأفعال:

الفعل الماضي في قوله: ﴿قَالُواْ﴾ دلّ على حدث ماضٍ بالنّسبة إلى

ثباتُ السَّحرةِ يُـقـابـل عـنـادَ الفجرة

(1) الأصفهَانيّ، المفردات: (قضى).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (قضى).

حدث ماضٍ قبله؛ هو قول فرعون لهم: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ﴾؛ فجاء قولهم ردًّا وبيانًا وخلاصة لموقفهم تجاه فرعون في حياتهم المتبقيَة معه، فقد اختاروا ألَّا يُؤْثِروا عبادتَه على عبادة الله وطاعتَه على طاعة الله، فقد اتّضح الهدى وبانت البيّنات في هذا الموقف العظيم المهول.

نكتةُ التَّعبيرِ عن الفاعل بالضَّمير:

وحدة موقف السّحرة في اختيار سبيل الإيمان

أُضمر الفاعل في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ عوضًا عن الاسم الظَّاهر؛ فلم يقل: (قال السَّحرة)؛ ليدلّ على وحدة القول، فكان قولهم في هذا الموقف العصيب قولًا واحدًا، ولم تظهر أقوالٌ نشاز تشوّه المشهد القوليّ كلّه على مدار المُحادثة، مع ما فيها من القسوة والوعيد بالتّقطيع والصّلب الواقع بهم لا محالة، فقد أحدثوا في أمرهم حدثًا عظيمًا، ووقفوا بوجه أَعْتى طغاة الحياة، ولم يأبهوا بأعظم تهديد يمكن أن يواجه بشرًا.

نكتةُ النّفي بأداة ﴿لَن﴾:

حسمُ القضايا الكبرى بالمعاني العظمى

دلَّ النّفي بأداة ﴿لَن﴾ على النّفي المؤكَّد في المستقبلِ، فكأنَّهم قالوا: لن نُؤْثِرَ طاعتك وعبادتك على طاعةِ الله تعالى وعبادته لا في الحال ولا في الاستقبال ممَّا كان منَّا ماضيًا، ولن نُفضّل عبادتك على عبادة الله، ولن نؤثر ما عندك على ما عند الله من البيّنات، وفيه أنَّه على المؤمن أن يَحْسِم القضايا الكبرى بالمعاني العظمى، فإنَّ المؤمن عُرضةٌ لأن يقع في مزالقِ الحياةِ، فعليه أن يتجنَّب ذلك بما فيه تثبيتٌ لإيمانه، وتقويةٌ لبرهانه.

دلالة اختيار مفردةِ الإيثار:

إجاباتُ السَّحرة جمعت بين تعليلِ العقل وإيمان القلبِ

دلَّت كلمةُ الإيثار في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ على أنَّ فرعون طلب منهم الرجوع عن الإيمان وإلا فعل بهم ما توعَّدهم به؛ فقالوا ردًّا عليه: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ جوابًا لما قاله، وتقتضي

مفردة الإيثارِ التَّفضيل بين أمرين، وبيَّنوا العلَّةَ وهي أنَّ الذي جاءهم بيِّناتٌ وأدلَّة، والذي يذكره فرعون لا يعدو أن يكونَ محض الدنيا، وأنّ منافع الدّنيا ومضارّها لا تعارض منافع الآخرة ومضارَّها[1].

دلالة التَّعبير بالمضارع: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾:

إيثار الحقِّ على الباطلِ ثابت لا رِجعةَ عنه

دلَّت صيغة المضارع: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ على الزمن الحاضر والمستقبل، كما أنَّ هذه الصيغة أفادت تجدُّدَ إيثار الحقِّ على الباطل، أي: لن نؤثرك اليوم وغدًا فاصنع ما أنت صانع، فلن يكون شيءٌ في المستقبل ممَّا وقع منَّا في الماضي؛ إذ كُنَّا عبيدًا لك، مؤتمرين بأمرك، أما الآن ومستقبلًا فلن يكون من ذلك شيءٌ فلن نؤثرك ونفضّل عبادتك وحفاوتك بذلك على عبادة الله وما سيأتينا من نعيمه ورضاه في الآخرة.

نكتة المجاز بحذف المضاف:

مساواةُ المراوغين إنَّما تكون على الطَّاعة والإذعان

حُذف المضاف في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾؛ إذ التّفضيل بين فرعون وما جاءهم من البيّنات مقتضٍ حذف مضاف يناسب المقابلة بالبيّنات[2]؛ أي لن نؤثر طاعتك، على ما جاءنا من البينات الدَّالة على وجوب طاعة الله تعالى، والهداية التي استقرّت في قلوبنا، وفائدة هذا الحذف ودلالته أنّه جعل فرعون بكل ما يملك من القوّة والجبروت، وكل ما يمكن أن يُعطيه لهؤلاء السّحرة لو أنّهم أطاعوه في كفّة، وما جاء من البيّنات والهدى من الله في كفّة مقابلة موجزة عظيمة فلا يمكن معها أن ترجح كفة فرعون أبدًا.

بلاغةُ المقابلة الضِّمنيَّة:

رهان الطغيان خاسرٌ أمام عظيم شأن الرحمن

دلَّ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾؛ على وجود مقابلةٍ ضمنيَّةٍ بين ما عرضه فرعون وما اختاره

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 77.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 266.

السَّحرة، فالإيثار هو التفضيل؛ والمعنى: (لن نُؤْثر طاعتك أو دينك على ما جاءنا من البيّنات الدَّالة على وجوب طاعة الله تعالى)، وبذلك يلتئم عطف ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾؛ أي لا نؤثرك في الرّبوبية على الذي فطرنا[1]، وفي الآية مقابلة واضحة بين من استحقّ العبادة وهو الله تعالى الخالق الموجِدُ على غير مثال سابق، وبين طاغية يتجرّأ بقوة ما يملك من عرض الدّنيا على الخالق وخلقه، فيجعل من نفسه إلهًا بغير حقّ، هذا من جانب، وبين البيّنات والمعجزات التي أظهرها الله للنَّاس ليؤمنوا، وبين الجبروت والقسوة والوعيد بالقتل من فرعون من جانب آخر.

الفطرُ السّليمة تكشفُ الحقَّ من الباطلِ

ويظهر من قولهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ أنّ من غريزة الإنسان اللّجوء إلى معبود يعبده، وفطرته السّليمة تكشف له عن الإله الحق الذي يستحقّ العبادة سبحانه، فقد اتّخذ السّحرة فرعون إلهًا لهم، ولكنّهم لمَّا رأوا الحقّ لجؤوا إليه، وتركوا ما كانوا يعبدون من دون الله؛ لأنهم علموا بالبيّنات أنّ الله هو وحده من يستحقّ العبادة سبحانه.

فائدةُ استعمال الاسم الموصول:

كلُّ ما جاء عن الله عظيمٌ فلا مُساومةَ ولا مُداهنة

دلَّ الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ على التّعظيم والتّفخيم؛ لأنّ هذه البيّنات جاءت من عند الله سبحانه، فاستمدّت عظمتها وقوّتها وصدقها ورصانتها من عظيم شأن الله سبحانه، وكانت هي عنوان الإيمان والهداية، واختيار أداة ﴿مَا﴾ لبيانِ عمومِ الذي جاء، أي كلُّ ما جاءنا لن نؤثرك عليه، فلا مُساومة ولا مُداهنة.

بلاغةُ الإسناد المجازي:

تشخيصُ البيِّنات أمتنُ أثرًا وأرسخُ معنًى

أُسند المجيء في قوله تعالى: ﴿مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ إلى البيِّنات، والبيّنات لا تجيء وإنّما يُجاء بها، فهو مجاز عقليّ علاقته

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 266.

المُسبّبيّة؛ لأنّ موسى ﷺ هو الذي جاء بالبيّنات ولم تأت هي، وقرينة ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾، وفائدة هذا المجاز الإيجاز والتّشخيص، فتكون البيّنات قادرة على إحداث الهداية في قلوب النَّاس ورسوخ الإيمان فيها؛ فهو تصويرٌ للبيِّنات وتشخيصٌ لها.

نوع الواو ودلالتها:

الترقي في ذكر أدلّة الإيمان

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ عاطفةٌ على جملة ﴿مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[1]، والتّقدير: (لن نؤثرك يا فرعون على ما جاءنا من البينات وعلى الذي فطرنا)؛ أي: (وعلى طاعة الذي فطرنا وعبادته)[2]، وتكون بذلك قد أفادت التّرقي من ذكر الأدنى إلى ذكر الأعلى؛ فذكروا البيّنات التي شاهدوها، ثمّ ذكروا اللّه تعالى الذي خلق البيّنات وخلقهم فأحسن خلقهم.

أو تكون الواو للقَسَم، والموصول مُقْسَمٌ به، وجواب القسم محذوف دَلَّ عليه ما قبله[3]، والمعنى: (واللّه الّذي أنشأنا من عدم، لن نؤثرَكَ على ما جاءنا من البيّنات)؛ فأكَّد السّحرةُ بالقسم لفرعون أنَّهم لن يتركوا هذا الأمر أبدًا.

نكتة التّعبير بالاسم الموصول:

الخالق وحده هو من يستحقّ العبادة

جيءَ بالاسم الموصول في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ للإيماءِ إلى التّعليل؛ لأنّ الفاطر هو المستحق للإيثار على غيرِه، فكأنَّهم قالوا: لن نؤثرك على اللّه تعالى لأنَّه هو الذي خلقنا من عدم، وأنت مخلوقٌ مثلنا، فكيف لنا أن نترك من خلق ونعبد من خُلِق؟!

نكتةُ تقديم البينات على ذكر الفاطر:

ذكرُ البيِّنات توطئةٌ لذكرِ الدَّليل

أخَّر النَّظم الكريمُ ذكر ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ على ﴿مَا جَآءَنَا مِنَ

(1) طنطاوي، الوسيط: 9/ 128.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 77.
(3) طنطاوي، الوسيط: 9/ 128.

ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾؛ وذلك توطئة لذكر الخالق ﷻ؛ لأنّ البيّنات دليلٌ على أنّ الذي خلقهم أراد منهم الإيمان بموسى ونبذ عبادة غير الله، ولأنّ فيه تعريضًا بدعوة فرعون للإيمان بالله تعالى[1]، كما أنَّ فيه ترقّيًا بذكر الأدنى فالأعلى.

بلاغةُ إيثار مفردةِ (فطر):

المعرفة في العقولِ لا تنفع ما لم تتحوّل إلى إيمانٍ صادقٍ في القلوب

اختار النَّظم الكريم مفردة (فطر) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَا﴾، ومعناها: أوجدنا على غير مثال سابق؛ وقد دلَّت هذه المفردة على أنّ السّحرة كان لهم علمٌ مسبَّقٌ بالخلق والخالق؛ لكنّ طغيان فرعون وإرهابه لمجتمعه كتم هذه المعارف السّماويّة في الصّدور، ولم يتفوّه أحد من القوم بتلك المعارف قطعًا، وهذا أمرٌ تاريخيٌّ حيث إن تاريخ بني إسرائيل في مصر يُبرهن على معرفتهم بالله تعالى، فلمَّا جاءت البيّنات ووقع الإيمان في قلوب السّحرة، صرّحوا بها وأطلقوا لها العنان غير آبهين بما يمكن أن يحدث لهم.

نكتةُ التّعبير بضمير الجمع:

المؤمنون يدٌ واحدةٌ في تكاتفِها واجتماعِها

أسند النَّظم الكريم فعل الفَطْر إلى ضمير الجمعِ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ إيمانهم بذلك هو إيمانٌ صادرٌ عن الجميعِ، وهم بمثابة رجلٍ واحد، وفائدة ذلك بيان عظيم فضل الله تعالى على جماعة المتكلّمين وهم السّحرة الذين آمنوا، فأنّى يُستبدل هذا الفضل العظيم بمن لا فضل له.

غرضُ الأمر وبلاغته:

الأمرُ محمولٌ على التَّسويةِ أو التَّهكُّمِ بوعيد المأفون

خرج الأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ عن معناه الظَّاهر إلى معنى التّسوية؛ لأن قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ يصدق على ما توعدهم به من تقطيع الأيدي والأرجل والصّلبِ؛ أي: اصنع

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 266.

ما أنت صانع وأنفذ ما أنت مُنفذ فقد قضى قضاؤك[1]، "أي سواء علينا ذلك بعضه أو كلّه أو عدم وقوعه، فلا نطلب منك خلاصًا منه جزاء طاعتك فافعل ما أنت فاعل، فإنّ عذابك لا يتجاوز هذه الحياة، ونحن نرجو من ربنا الجزاء الخالد"[2].

أو أن نجعل الأمر محمولًا على اللامبالاة بوعيده وتهديده، ففيه تهكُّمٌ بوعيده، فقول السّحرة: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ لا على معنى أنهم أمروه بذلك، لكن أظهروا أن ذلك الوعيد لا يزيلهم البتّة عن إيمانهم، وعمَّا عرفوه من الحقّ علمًا وعملًا[3]، فأظهروا استخفافهم بوعيده وتعذيبه؛ إذ أصبحوا أهل إيمان ويقين، وكذلك شأن المؤمنين بالرّسل وما يأتون من معجزات بيّنات، فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان وثباته[4].

بلاغة القصر ودلالته:

تَـوقُ النّـفوس المؤمنة إلى نعيم الآخرة

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾، هو قَصْرُ موصوفٍ على صفةٍ؛ لأنّ ما قضاه فرعون في هذه الحياة الدنيا لا يتجاوزه إلى القضاء في الآخرة، فهو قصر حقيقيّ[5]، وإنّما قالت هذه الفئة المؤمنة ذلك لِما رأَتْه أو عَلِمَتْه من نعيم الآخرة، فلمَّا وضعت الدّنيا وزخرفها قبالة نعيم الآخرة ودرجاتها وجنانها؛ تلاشى وانتفى تأثير الدّنيا في العقول والقلوب المؤمنة الصَّادقة، وتاقت النّفوس إلى الآخرة واشتاقت لها طالبة رضاء الله ومغفرته وذلك هو الفوز العظيم.

دلالة الحذف:

تـنـزيـلُ فرعـون مـنـزلـةَ عـــوامِّ النَّاس

حُذِف نداء فرعون الدَّال على الفاعل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي

(1) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 16/ 266.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 267.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 77.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 266.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 267.

هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ﴾؛ فلم يقل: (إنَّما تقضي يا فرعون هذه الحياة الدنيا) تهوينًا من شأنه، وتحقيرًا لما يقول ويهدد بفعله، فصار خطابهم له كخطابهم لعامتهم من النَّاس، لا احتراس فيه من غضبه، ولا خوف مما يمكن أن يدور عليهم من جبروته وسطوته، وهذا ما جعل الأمر يختلف عمَّا قبل، فإنَّ فرعون أراد أن يكون السَّحرةُ له، فأرادهم الله تعالى لموسى ﷺ، فانقلبت موازين القلوب والعقول، وسقطت هيبة المأفون، واضْمَحَلَّتْ رهبة الملعون.

فنُّ بديعِ الجناس:

في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي﴾ جناس اشتقاق بين صيغتي الأمر واسم الفاعل والفعل المضارع، وهو دالٌّ على هوان قضاء فرعون إلى قضاء الله تعالى، فإنّه لن يخرج فرعون في قضائه الذي سيقضيه عن علم الله ومشيئته سبحانه، ثمّ إنّ قضاء فرعون الذي سيقضيه في الفئة الذين آمنوا، هو من شأن قضاء الدّنيا، فيستوي عند أهل التّوبة والإيمان ما سيقضيه؛ لأنّهم طامعون بمغفرة الله سبحانه.

هـــوان قـضـاء فـرعـون أمـام إيمانِ المؤمن

فائدةُ استعمالِ اسمِ الإشارة:

أفاد استعمالُ اسمِ الإشارةِ المؤنَّثِ في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ تشخيص الحياة الدُّنيا وتنزيلها منزلةَ الشَّيء الحاضر بجميعِه، مع ما أفاده اسمُ الإشارةِ من التّحقير، فيُراد به استحضارُ ضعفِ المُشار إليه وحقارته، والتّعريض بفرعون ومَلَئه وما هم فيه من الغباوة، فالمُخاطب لا يتميّز الشيء عنده إلا بالحس.

نبذ الحياة الدّنيا وتحقير شأنها

بلاغةُ الاتِّساق والتَّعريض بذكر الصفة:

وُصفت الحياة بالدُّنيا في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ دون الاكتفاء بذكر الموصوف، فلم يقتصر على: ﴿هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ﴾ بل زاد وصفها بـ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ لبيان وجه المفاضلة بين الحياة الدنيا القريبة

اتِّـــســـاقُ المـتـفـاضـلاتِ والـتَّـعـريـضُ بالباقيةِ الآجلة

العاجلة، مع الحياة الآجلة الباقية، وهذا متّسقٌ مع مفردة الإيثار التي أفادت معنى المفاضلة بين طاعة فرعون وطاعة الرَّحمن، فهم كما قدَّموا طاعةَ الله تعالى، قدَّموا الدَّار الباقية، فكان ذكر الوصفِ ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ تعريضًا بالآخرة.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفَطْرُ والخَلْقُ والذَّرْءُ والبَرْءُ:

معانٍ متقاربةٌ يختصُّ كلٌّ منها بمعنًى من معاني الخلقِ والإيجاد

الفَطْر: إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود؛ كأنّه شقّ عنه فظهر، وأصل الباب الشّق، ومع الشق الظهور، وفطر الله الخلق: أظهرهم بإيجاده إياهم؛ كما يظهر الورق إذا تفطَّر عنه الشجر، ففي الفَطْر معنى الإظهار بالإخراج إلى الوجود.

والخَلْق: التّقدير، يُقال: خلقت الأديم إذا قدَّرْتَه خُفًّا، أو غيره، وخلق الثّوب، وأخلق؛ لم يبقَ منه إلا تقديره.

والذَّرْءُ: الإظهار، ومعنى: ذرأ الله الخلق أظهرهم بالإيجاد بعد العدم، ومنه قيل للبياض؛ الذرأة لظهوره وشهرته، وملح ذرآني لبياضه.

والبَرْءُ: تمييز الصورة، وقولهم برأ الله الخلق؛ أي ميّز صورهم[1].

فهي معانٍ متقاربة، تدور حول الإيجادِ، فالفطر هو الشَّق والإخراج، والخلق تقدير المفطور، والذرء إظهار بعد العدم، والبرء التَّمييز.

القضاء والحكم:

الحُكْم فصلُ الأمرِ على التّمام ومَنْعُ الخصومة، والقضاء الفَصْل في الأمر أو الحكم

(القضاء) يقتضي فصل الأمر على التّمام من قولك: (قضاه)؛ إذا أتمّه وقطع عمله، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ﴾ [الأنعام: 2]؛ أي فصل الحكم به، وقوله: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: 4]؛ أي فصلنا الإعلام به، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [سبأ:

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة: 95 و224 و241 و407.

14]؛ أي: فصلنا أمر موته، وقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصّلت: 12]؛ أي: فصل الأمر به.

وأمَّا (الحكم) فيقتضي المنع عن الخصومة من قولك: أحكمتُه إذا منعتَه، ويجوز أن يُقال: الحكم فصلُ الأمرِ على الأحكام بما يقتضيه العقل والشّرع، فإذا قيل: حكم بالباطل؛ فمعناه أنّه جعل الباطل موضع الحقِّ، ويُستعمل الحكم في مواضع لا يستعمل فيها القضاء؛ كقولك: حكم هذا كحكم هذا؛ أي: هما متماثلان في السّبب أو العلة أو نحو ذلك[1]، فالحكم وُجِد لمنع الخصومة، والقضاء هو الفصل فيها.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 430.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»